SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.22 NO. 2 2023
DOI: 10.51984/JOHS.V22I2.2858

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

أقوال الإمام مالك في تربية الطفل

محمود عيسى بن حليم

جامعة بنغازي ليبيا، باحث دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الملخص

يُعنى هذا البحث بذكر أقوال وتوجيهات الإمام مالك المتعلقة بتربية الطفل ، وقد جاء البحث في تمهيد ومطلبان وخاتمة، اشتملت المقدمة على إشكالية البحث والدراسات السابقة وأهميته وخطة البحث ومنهجه، فأما التمهيد فعرفت بالإمام مالك وذكر التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم التربية، وأما المطلب الأول فهو عن مسئولية تربية الطفل وتعليمه، وأما المطلب الثاني فقد ذكرت فيه نصائح وتوجيهات الإمام مالك، وقد ختم البحث بخاتمة ذكر فيها نتائج البحث وهي: تربية الطفل وتنشئته تبدأ من حين خروجه إلى الدنيا، وتَميُّز تربية الإمام مالك للطفل في جميع جوانب التربية، وأن تربية الإمام مالك للطفل تقوم على اليسر والسهولة والرأفة والشدة في موضعها، وعدم تحميل الطفل المسؤوليات العامة.

الكلمات المفتاحية:

أقوال
تربية
الطفل
مالك
القرآن الكريم

Imam Malik's sayings about raising a child

Mahmoud Issa bin Halim

Assistant lecturer at the University of Benghazi, Libya, doctoral researcher at the Islamic University of Medina

A B S T R A C T

This research is concerned with mentioning the sayings and directives of Imam Malik related to raising children. The research came in an introduction, two topics, and a conclusion. The introduction included the problem of the research, its importance, the research plan, and its methodology. As for the introduction, it introduced Imam Malik and mentioned the linguistic and terminological definition of the concept of education. As for the topic, The first is about the responsibility of raising and educating the child. As for the second requirement, I mentioned the advice and directives of Imam Malik. The research was concluded with a conclusion in which the results of the research were mentioned, which are: Raising and the child raising begins from the time he emerges into this world, and distinguishes the upbringing of Imam Malikfor the child in all aspects of education and that Imam Malik's upbringing of the child is based on ease, compassion, and severity in its proper place, and not burdening the child with public responsibilities.

Keywords:

Sayings
Education
Child
Malik
The Holy Quran

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن الإمام مالكاً إمام أجمعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم على حبّه، وأجمعت على قبول مذهبه فانتشر مذهبه وذاع وأصبح منهجه وطريقته وأقواله وكتبه مرجعاً للناس.

وإن من الأهمية قراءة كتبه وأقواله والاستفادة منها واستخراج ما فيها؛ لما فيها من العلم والحكمة الشيء الكثير، ومن الأشياء المهمة في علم الإمام مالكٍ وشخصيته موضوع تربية الطّفل فقد جاء عنه عدة أقوال في تنشئة الطفل وتربيته وتعليمه، فأحببت أن أبيّن في هذا البحث شيئاً من ذلك، سائلاً من الله المعونة والتوفيق والرشاد.

إشكالية البحث:

ماهي أقوال الإمام مالكٍ في تربية الطِّفل؟

*Corresponding author:
E-mail addresses: salsahg95@gmail.com

Article History : Received 28 November 2023 - Received in revised form 24 December 2023 - Accepted 31 December 2023

كيف نستفيد من أقوال الإمام مالك في تربيّة الطِّفل؟

الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة التي اطَّلعت عليها بعد إعطاء الملاحظات من المحكّمين هي:

1- منهج الإمام مالك التربوي والاجتماعي د. الشبلي الدرويش.
النقولات في هذا البحث عن الإمام مالك قليلة جداً، مقارنة بهذا البحث.

2- الفكري التربويّ عند الإمام مالك بن أنس -رسالة ماجستير-.
جاء الباحث على عدة جوانب في الفكر التربويّ بشكل خاص من العوامل المؤثرة في فكره ومعالم الفكر عنده الاقتصادي والسياسي وغيره، وآراءه التعليمية والأساليب التعليمية؛ ولكن مما ينقص هذا البحث والذي كان هذا البحث مكمّلاً له في رأي الباحث باستقصاء أقواله المتعلقة بالطّفل وجمعها في مكان واحد وإظهارها للمُتَلَقّي.

3- منهج الإمام في التعليم والتربية د. حذيفة عبود السامرائي.
جاء الباحث على عدة جوانب في التعليم والتربية بمنهجها العام من غير حصر للأقوال ممّا يكون هذا البحث مفارقاً له من هذه الجهة.

4- جهود علماء المالكية في الفكر التربوي، الإمام سحنون نموذجا.
ويتضح من العنوان أنّه ليس عن شخص الإمام مالك، والإمام سحنون ثمرة ثمرات الإمام مالك.

أهداف البحث:

- ❖ إظهار أقوال الإمام مالك في تربية الطّفل.
- ❖ بيان تميز طريقة الإمام مالك في تنشئة الطفل وتربيته.
- ❖ أثر توجهات الإمام مالك على مراكز تحفيظ القرآن الكريم.

خطة البحث:

ستنتظم خطة هذه البحث -إن شاء الله- في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: وتحتوي على توطئة للموضوع وإشكالية البحث والدراسات السابقة وأهدافه وخطته ومنهجه.

المطلب الأول: أقوال الإمام مالك في تربية الطفل وتعليمه.

المطلب الثاني: نصائح وتوجهات الإمام مالك.

الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث المنهج الآتي:

1. جمع المادة المتعلقة بالبحث من المصادر الأصلية التي ذكرت أقوال الإمام مالك.

2. ذكر قول الإمام مالك ثم ذكر تعليق موجز لأحد الأئمة المعتبرين في المذهب إن وجد؛ لبيان معنى القول أو شرح له.

3- شرح الكلمات الغريبة.

4. عزو الآيات إلى المصحف بذكر السورة ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني.

5- تخريج الأحاديث الواردة بذكر مصدر واحد؛ للدلالة على مكانه.

وأسأل الله التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

دلت النصوص من الكتابة والسنة على أهمية تربية الأبناء والحرص على أن يكونوا صالحين.

فمن دعاء إبراهيم عليه السلام {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [الصافات: 100].

ومن دعاء زكرياء عليه السلام {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ} [آل عمران: 38].

ومن قول نبينا ' فيما ينفع الإنسان إذا مات «ولد صالح يدعو له»1، وعن مالك عن يحيى بن سعيد؛ أن سعيد بن المسيب، كان يقول: «إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده. وقال بيديه نحو السماء، فرفعهما» 2.

وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في تعليمه للأطفال يؤكد على أهمية ذلك، فجاء عن النبي ' أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام إنّي أعلمك كلمات»3.

وعلى ذلك وغيره من حرص النبي '؛ حرص المسلمون وعلماؤنا على أمر الأطفال والصبيان، فمن توجهات للمعلمين عن كيفية التعامل مع الصبيان، ومن إرشاد مباشر لهم.

ومن المؤلفات المهمة للعلماء المالكية والتي ألفت خاصة بأمر التربية وكيفية التعامل مع الطفل وغير ذلك:

1- آداب المعلمين، لمحمد بن سحنون (ت256هـ).
2- الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين، والمتعلمين، لعلي بن محمد القابسي (ت403هـ).
3- جامع جوامع الاختصار والتّبيان، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، للمغراوي المالكي (ت898هـ).

وقد اعتمدت في استخراج أقوله على عدة كتب منها:

1- الموطأ وهي أحاديث جمعها الإمام مالك.
2- المدونة الكبرى، للإمام سحنون وفيها أجوبة للإمام مالك.
3- البيان والتحصيل لأبي الوليد القرطبي.
4- الكتب المتقدم ذكرها، وغيرها مما جاء في البحث.

ثم إنه من الأهمية التنبيه على أن اللفظ المستعمل الآن عند توجيه الخطاب أن يقال: الطفل، ولا يقال الصبي، أو الغلام، وقد ذكرت جميع هذه الألفاظ على حسب النقل ولم أتصرف في ذلك، وأرجو من الله تعالى أن ينفع به إخواني المربين للأطفال، والله من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التعريف بالإمام مالك4

اسمه

أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، الحميري ثم الأصبحي المدني،

شيوخه

نافع مولى ابن عمر، وسعيد المقبري، وعبد الله بن هرمز، وشهاب الزهري، وعبد الله بن دينار، وخلق كثير.

تلاميذه

حميد بن قيس الأعرج، ربيعة الرأي، وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان، وغيرهم ممن روى كتاب الموطأ.

ثناء العلماء عليه

قال الإمام الشافعي: (إذا ذكر العلماء فمالك النجم، ومالك حجة الله على خلقه بعد التابعين.

وقال الإمام أحمد: (هو إمام في الحديث، وفي الفقه).

مولده ووفاته

ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، ومات سنة تسع وسبعين ومائة من الهجرة.

تعريف التربية لغة واصطلاحاً.

التربية لغة: تدل على القيام بالشيء وإصلاحه، يقال: رب الشيء أي أصلحه وانتقل به من حال إلى حال، وهذا المعنى الألصق في اللغة من غيره5.

التربية اصطلاحاً: إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدّ التمام شيئاً فشيئاً، فيتم من خلال ذلك تغيير في السلوك؛ فيتكون وينشئ إنسان سليم مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية، والعقلية، والاعتقادية، والروحية، والإدارية، والإبداعية. 6

ويكون ذلك بتباع منهجية القرآن الكريم وما كان يفعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته من بعده والأئمة من التابعين والعلماء، فيتخذ من ذلك منهجاً يُتَّبع، وسبيلًا يُسار عليه؛ لكي يتأثر الفرد والمجتمع بهذه التربية، فينتقلون من حال إلى حال.

المطلب الأول: أقوال الإمام مالك في تربية الطفل وتعليمه.

أولاً: مسئولية تربية الطفل.

إن مسؤولية تربية الطفل تقع على الوالدين أو من وُلِيَ أمره، قال ': «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راع على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها، وهي مسئولة»7.

قال ابن القيم: « فلما انفصل عن أُمه تَعلقت به أحكامه الأمرية، وكان المخاطب بها الأبوين أو من يقوم مقامهما في تربيته والقيام عليه»8.

فمن حين خروج الطفل رتّب الشَّرع أحكاماً تتعلق بالمولود، على وليِّ أمره القيام بها؛ ليكون الطفل قد سار من حين خروجه على الفطرة السليمة والأحكام الإسلامية.

فمن أول خروجه يُسمَّى الطفل في اليوم السابع من مولده **قال مالك: يسمى الصبي في اليوم السابع**9.

قال محمد بن رشد: «وإنما اختار مالك أن يُسمَّى المولود يوم السابع لما جاء في الحديث من قول النبي --صلى الله عليه وسلم- : «الغلام مرتهن بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع، ويُحلَق رأسه ويُسمَّى»10، وروي عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «سَمُّوا المولود يوم سابعه»11.

فإذا كانت هذه الأشياء المهمة والطفل مازال لم يَتكلم فالأمر بعد ذلك أبلَغ وأشد، فهنا لابد من الالتزام بالوقت المحدد اليوم السابع من ولادته12، وينبغي عند بلوغه الحرص وتربيته على طريقة صحيحة؛ تقرباإلى الله، ورجاء أن يكون ولداً صالحاً، وليكون في الآخرة من الآمنين عندما يسأله رب العزة جل جلاله.

وأما عن الاسم المختار له **فجاء عن مالك أنه سئل عن اسم جبريل، وعن اسم ياسين، فكره أن يسمى الطفل باسم جبريل، وياسين**13.

وعلّلّ ابن رشد سبب ذلك بقوله: «إنما كَرِه أن يُسمَّى الرجل جبريل؛ لأن جبريل هو الروح الأمين الرسول من عند الله بالوحي إلى الأنبياء - عليهم السّلام - فإذا تَسمَّى الرجل بجبريل كان سبباً إلى أن يقول الرجل: جاءني جبريل ورأيت جبريل وأشار علي جبريل برأي كذا في كذا، وهذا من الكلام الذي يستشنع سماعه، وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من رواية سمرة بن جندب -رضي الله عنه- أنه قال: «لا تُسمِّ غلامك رَباحاً ولا أفلح ولا بشيراً ولا يساراً يقال: ثم فلان فيقال: لا»14. فإذا كُرهت التسمية بهذه الأسماء ونحوها فأحرى أن تكره التسمية بجبريل لما ذكرناه من نحو هذا، وليس شيء من ذلك كله بحرام، وإنما هو مكروه فتركه أحسن والله أعلم. وقد رُوي أن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - أراد أن ينهى عن التسمية بنافع ويسار وبركة من أجل أن يقال: هاهنا بركة فيقال: لا، فسكت عن ذلك ولم ينه عنه حتى قبض،15 فدل ذلك على أن النهي لم يلحق التسمية بهذه الأسماء »16.

وبنحو ذلك تعليل كراهة الإمام مالك التسمية باسم ياسين.

ثانياً: تعليم الأطفال.

يدخل في تعليم الطفل عدة جوانب، إيمانية، وتربوية؛ فأما الجانب الإيماني سأقتصر فيه على ما ورد من أقواله في الصلاة، وأما الجانب التربوي سنأخذ جميع أقواله الواردة في ذلك منها تعليم القرآن وغيره.

❖ **الجانب الإيماني: ماورد عن الإمام مالك في شأن الصلاة.**

قال مالك: تؤمر الصّبيان بالصّلاة إذا أثغروا17.

وقال: أُمر بالصلاة وأُدب عليها ولا يُضرب بعض الضرب18.

قال محمد بن رشد: «ولا يُضرب بعض الضرب، معناه: ولا يُضرب بعض الضرب الذي يضربه كثيرٌ من الناس فيتعدى في الضرب، يريد: أنه لا يضرب إلا ضرباً خفيفاً، ووقع في بعض الكتب مكان ولا يضرب وإلا ضرب، وهو خطأ لا معنى له.

وقوله: إنه يؤدب على الصلاة إذا أثغر خلاف ظاهر ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم- من قوله: «إذا بلغ الصبيان سبع سنين فمروهم بالصلاة وإذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم عليها وفرقوا بينهم في المضاجع»19 20.

وأما عدد الضرب فلا يزيد على عشرة **كما قال الإمام مالك** 21.

وأما المجي بهم إلى **المسجد فسئل مالك عن الصّبيان يؤتى بهم إلى المساجد؟ فقال: إن كان لا يعبث لصغره، ويكفّ إذا نُهي، فلا أرى بهذا بأساً، قال: وإن كان يَعبث لصغره فلا أرى أن يؤتى به إلى المسجد**22.

وسئل عن الإمام مالك عن تعليم الصبيان في المساجد فقال: لا أرى ذلك يجوز؛ لأنهم لا يتحفظون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم(23).

وسأل ابن القاسم مالكاً عن الصّبيّ يأتي إلى أبيه وهو صغير وهو في صلاة مكتوبة؟ قال: فلينحّه عنه إذا كان في المكتوبة ولا بأس به في النّافلة24.

والأمر بالصلاة للذكور والإناث25.

وأَمْرُ الصلاة أمرٌ مهم وهو مُختلف عن أَمْرِ الصبيان بالصيام كما قال مالكٌ26؛ لذا ينبغي للمعلِّم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين27.

وعلى هذا كما قال ابن سحنون «يلزمه -أي المعلم ومن ولي أمرهم- أن يعلمهم الوضوء للصلاة؛ لأن ذلك من دينهم، وعدد ركوعها وسجودها، والقراءة فيها، والتكبير، وكيف الجلوس، والإحرام، والسلام، وما يلزمهم في الصلاة، والتشهد، والقنوت في الصبح، فإنه من سنة الصلاة28»، وعلى ذلك تعليمهم سنن الصلاة مثل: ركعتي الفجر، والاستسقاء وغير ذلك29.

وأما صلاة الصبي بالناس، **فقد سئل الإمام مالك عن صبيان الكُتَّاب يصلي بهم صبي لم يَحتلم؟ قال: مازال ذلك من شأن الصبيان وخَفَّفه**30.

قال أبو الحسن: يريد الذين يصلون معه لم يحتلموا، ولو كان في صبيان الكُتَّاب مُحتلم، فإن صَلُح للإمامة قُدِّم، وإن لم يَصلُح للإمامة فلا يُصلِّي خلف من لم يَحتلم، ولا يُقطع عن صبيان الكُتَّاب عادتهم؛ لكي يتدرجوا إلى معرفة صلاة الجماعة، وليعرفوا فضلها حتى يَكبروا على الرغبة فيها31.

والأمر التربوي في ذلك أن الصبي لا يُحَمَّل المسؤوليات المتعلقة بالناس، بل المهم تنشئته على الصلاة؛ لذا فُرِّق بين كونه إماماً للرجال وبين كونه إماماً للصبيان.

❖ **الجانب التربوي: ما ورد عن الإمام مالك في الجانب التربوي.**

1- إلباس الصبيان لباس العلماء وتعلم الأدب.

يتحدث الإمام مالك عن جانب مهم في بداية طلبه للعلم، «قال مطرف، **قال مالك: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت تعال فالبس ثياب العلم. فألبستني ثياباً مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها. ثم قالت: اذهب فاكتب الآن. وقال رحمه الله: كانت أمي تُعمِّمُني وتقول لي اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه**» 32.

وهذا التجهيز لطلب العلم بهذه الصورة والكيفية يجعل الطفل يستشعر بأهمية الأمر الذي سيذهب إليه، والأمر الآخر وهي الكلمة التي تكتب بماء العين (فتعلم من أدبه قبل علمه) لأن الأدب كما يقول ابن القيم: «فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب» 33، وعلى هذا كانت نصائح الإمام مالك، فقال لفتى من قريش: «**يا ابن أخي تعلّم الأدب قبل أن تتعلّم العلم**»34، وأثر ذلك في تلاميذه فقال ابن وهب: «**الذي تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه**»35.

2- البدء في تعلم القرآن.

وأما فيما يتعلق بتعليم الصبيان فالظاهر أنه يبدأ بتعلم القرآن ولو كان طفلاً لا يُميز، وهذا الظاهر من توجيهات الإمام مالك، وأول ما يبدأ الطفل في تعلم لأنه كما قال السيوطي: «تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشئون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة، قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال»36.

وقال ابن خلدون في ذلك: «تعليم الولدان للقرآن شعار الدّين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التّعليم الّذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات»37.

وعلى ذلك فالقرآن الكريم شامل لكل ما يحتاجه الإنسان، الفرد والجماعة، والكبير والصغير.

وعلى ذلك جرى توجيه الإمام مالك في التعليم وإرشاده للمعلمين، في كل ما يخص إجارة المعلم ومكان تعليم الطفل وغير ذلك؛ لأن هذه الأمور تساعد في النهوض بالطفل وكمال استقامته وتربيته وتهذيبه.

3- تعليم الأدب قبل حفظ القرآن.

قد أرشد الإمام مالك إلى أمر مهم وهو أنه ينبغي تعليم الطفل الأدب قبل القرآن، قال أشهب: «**سئل مالك عن صَبِي ابن سبع سنين جَمَع القرآن؟ قال مالك ما أرى هذا ينبغي**»38.

قال محمد بن رشد: إنما قال مالك: إنه لا ينبغي هذا من أجل أن ذلك لا يكون إلا مع الحَمْل عليه في التأديب والتعليم وهو صغير جداً وترك الرفق به في ذلك، وقد قال رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»39 40.

وعلى ذلك فينبغي الاعتناء بتأديب الطفل وتعليمه وفق منهجية نبوية (تربية مع تعليم القرآن)؛ ليخرج جليل على قدر كبير من الأدب والعلم.

4- الغرض الأكبر من تعليم الصبي إصلاحهم وتأديبهم.

جاء رجل إلى الإمام مالك فقال له: «يا أبا عبد الله، إني رجل مؤدب الصبيان، وإنه بلغني شيء، فكرهت أن أشارط، وقد امتنع الناس عليَّ، وليس يعطونني كما كانوا يعطون، وقد اضطررت بعيالي، وليس لي حيلة إلا التعليم.

فقال له مالك: اذهب واشترط.

فانصرف الرجل.

فقال له بعض جلسائه: يا أبا عبد الله، تأمره أن يشترط على التعليم؟ **فقال لهم مالك: نعم، فمن يُمَحِّطُ41 لنا صبياننا؟ ومن يؤدبهم لنا؟ لولا المعلمون أي شي كنا نحن؟**»42.

هذا الخبر المروي عن الإمام مالك يُحتم على المعلم أن يعرف هدفه الأساسي من تعليم الصبيان وهو: إصلاحهم، وتأديبهم، فعلى المعلم أن يَعرف مهمته الأساسية، وأن يهذب نفسه أولاً ويجعل أهدافاً واضحة للتعليم، والملاحظ كذلك أن تأديب المعلِّم غير تأديب الوالدين؛ لأن الطفل يأتي إلى مكان التعليم ومعه فتية على خلاف ما هو موجود في بيته، فيبدأ المعلم يُرَبي فيه الأخلاق الحسنة ويصلحه ويؤدبه، لذلك قال مالك: **فمن يُمَحِّطُ لنا صبياننا؟ ومن يؤدبهم لنا؟**.

5- عدم العجلة في حفظ القرآن.

يرشد الإمام مالك إلى عدم العجلة في تعليم القرآن، قال إسحاق بن الطباع: «**سمعت مالك بن أنس عاب العجلة في الأمور يوماً ثم قال: قرأ عمر رضي الله عنهما البقرة في ثماني سنين**»43.

وجاء عن الإمام مالك قال: «كُتب إلى عمر بن الخطاب من العراق يخبرونه أن رجالا قد جمعوا كتاب الله، فكتب لهم عمر أن افرض لهم في الديوان وأعطهم. قال: فكثر من يطلب القرآن، فكتب إليه من قابل إنه قد جمع القرآن سبعمائة رجل. قال عمر: إني لأخشى أن يسرعوا في القرآن قبل أن يتفقهوا في الدين فكتب أن دعهم لا تعطهم شيئا»44.

6- المنع من تعليم المسلم عند النصراني.

فأما تعليم أطفال المسلمين في أماكن تعليم النصارى أو العكس فقال الإمام مالك: فقال: «**لا والله ما أحب ذلك يصيرون إلى أن يقرؤا القرآن. قال: وسألته عن تعليم المسلم عند المعلم النصراني كتاب المسلمين أو كتاب الأعجمية، فقال: لا والله، وكرهه، لا يتعلم مسلم عند النصراني، ولا النصراني عند المسلمين؛ لقول الله تبارك وتعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: 51] »**45، «**وقال الإمام مالك: لا يجوز للمسلم إسلامُ ولده إلى مكتبهم ليتعلم خطهم؛ إذ فيه إظهار الرغبة لهم**»46.

وفي المنتقى ذكر سبب النهي عن ذلك فقال: «ما في ظاهره من الذلة للمسلمين بسبب ما فعل هذا بولده، وفيه تعظيم النصارى... »47.

وهذه المسألة مهمة جداً وهي العناية بالمكان الذي سيعلم فيه الطفل فينبغي اختيار المكان والمعلمين الخيرين خصوصاً في مراحل التنشئة.

7- التحذير من أهل البدع والأهواء وغيرهم.

على الشيخ أن يحذر طلابه من كل أحد يرى أنه سيؤثر على عقيدتهم أو فكرهم، **قال الإمام مالك: «قال لي زيادة بن أبي زياد وكان عابداً، و أنا يومئذ حديث السن: إني أراك تجلس مع ربيعة؟ عليك بالحذر**»48.

8- اللطف والر أفة والرفقة والتواضع وتحفيزهم في التعليم.

الطفل يتذكر ما يقوله له معلمه فليحص المعلم أن يفعل ويقول النافع لطلابه، **قال الإمام مالك: «كنت آتي نافعا مولى ابن عمر و أنا يومئذ غلام حديث السّنّ ومعي غلام لي فينزل إليّ فيقعد معي ويحدّثني**»49.

وكذلك يشجعهم قال الشافعي: «**أتيت مالك بن أنس و أنا ابن ثلاث عشرة سنة، وكان ابن عم لي والي المدينة، فكلَّم لي مالكا، فأتيته لأقرأ عليه، فقال: اطلب من يقرأ لك. فقلت أنا أقرأ. قال: فقرأت عليه، وكان ربما قال لي لشيء قد مر: أعد حديث كذا. فأعيد حفظاً، فكأنه أعجبه، ثم سألته عن مسألة، فأجابني، ثم أخرى، ثم أخرى، فقال: أنت يجب أن تكون قاضياً**»50.

9- الشدة مع الر أفة والرحمة في التعليم.

كان الإمام مالك حازماً يؤدب بنفسه من يرى منه أنه قد أخل بذلك مع الشفقة واللين، **فكان الإمام مالك يمنع دخول المرد لمجلسه للسماع فاحتال هشام بن عمّار فدخل في غمار النّاس مستترا بهم وهو أمرد فسمع معهم ستّة عشر حديثا فأخبر بذلك مالك فأحضره وضربه ستّة عشر سوطا فقال هشام ليتني سمعت مائة حديث وضربني مائة سوط**51.

أو يوكل من يؤدب، يقول: هشام بن عمّار لمّا دخلت المدينة قصدت دار مالك بن أنس، فهجمت عليه من غير استئذان، **فقال: يا صبيّ، من أين أنت**؟ قلت: من الشّام. **فقال: ومن أيّها؟** قلت: من دمشق. **قال: من أدخلك عليّ؟** قلت: دخلت ولم أستأذن. **فأمر غلاماً له حتّى ضربني سبعة عشر ضرب السّلاطين، وأمرني أن أخرج**، وقعدت على باب داره أبكي، ولم أبك للضّرب إنّما بكيت للحسرة أن لا يروي لي، فحضر باب داره كبراء من أصحابه، فقصصت لهم، فدخلوا عليه، وتشفّعوا، فأمر حتّى أدخلت عليه، فأملى عليّ سبعة عشر حديثا، وقال: يا غلام، ما أمليت على أحد إلّا على عبد الرّحمن بن مهديّ، ولكن تأدّب، لا تدخل على عالم إلّا بإذن52.

المطلب الثاني: نصائح وتوجيهات الإمام مالك.

1- الجلوس عند العلماء، **قال الإمام مالك: بلغني أنّ لقمان الحكيم أوصى ابنه، فقال: يا بنيّ جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك. فإنّ الله يحيي القلوب بنور الحكمة. كما يحيي الأرض الميتة بو ابل السّماء**53.

2- أورد في موطأه توجيهاً عن كيفية رقية الصبي من العين، وفيه: **أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت أمّ سلمة زوج النّبيّ صلى الله عليه وسلم. وفي البيت صبيّ يبكي. فذكروا أنّ به العين. قال عروة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تسترقون له من العين**؟»54.

3- أرشد مالك إلى تعليم الصبيان حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، **قال الإمام مالك: كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن»**55.

4- من توجيهات الإمام مالك المباشرة في أخذ العلم والمنهجية الصحيحة في ذلك، قال مصعب الزبيري: **سمعت مالك بن أنس، وقد قال لابني أخته، أبي بكر وإسماعيل ابني أبي أويس: «أراكما تحبّان هذا الشّأن، وتطلبانه» يعني الحديث قالا: نعم قال: «إن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما، فأقلّا منه، وتفقّها»**56.

وعلى ما تقدم فمنهج الإمام مالك وأقواله الظاهر تتسم بالسهولة على الطفل، وعدم جعل مسؤولية عليه، فلا يكلف ولا يؤمر إلا بما أمره به الشرع، وهذا المنهج هو المنهج الموجود في القرآن والسنة.

والغرض من تربية الطفل والاعتناء به تحقيق أهداف تربوية محددة وفق خطة علمية سليمة، بما يساعد على تحقيق نموهم الشامل جسميا وعقليا ونفسيا واجتماعيا وروحيا 57.

فالتربية ليست تحولا مفاجئا في السلوك، وإنما عملية تحول تدريجي، يعتمد على التدرج في التوجيه شيئا فشيئا، حتى تؤتي التربية ثمارها المرجوة58.

وأثر أقوال الإمام مالك على مراكز تحفيظ القرآن الكريم ظاهرة، فإن أقوال الإمام مالك المتقدم ذكرها كانت مفتاحاً لتلامذته ومن بعدهم ليهتموا بأمر التربية، وجاءت أقواله في كُبت المالكية التي اعتنت بأمر التربية، ككتاب (آداب المعلمين) لمحمد بن سحنون، ومن هنا سأتقدم بطرح يُفْهَم من خلاله آثاره في مراكز تحفيظ القرآن الكريم.

أولاً: آثر قوله في تعليم القرآن الكريم.

إن قول الإمام مالك في الإتيان بالطفل في الصلاة، يمكن تلخيصه في الآتي:

1- إذا كان لا يعبث فلا يؤتى به.

2- إذا كانت في الصلاة نافلة فلا بأس بالإتيان به.

3- إن كان لا يحفظ عن النجاسة فلا يؤتى به.

وعلى ذلك فإن أثَر قوله جاء بإنشاء مكان يكون مستقلاً عن المسجد يُعلَّم فيه الأطفال وترتب عليه مكان صلاة الأطفال.

قال ابن الحاج في المنتقى: ويصلون في المسجد الذي يصلي فيه مؤدبهم، فإن خاف عليهم من اللَّعب، أو العبث؛ فيصلون في المكتب جميعاً، ويقدمون أكبرهم فيه فيصلي بهم جماعة. أحال على الرسالة المفصلة 217

ورتب على أثر عدد الضرب وكيفيته في الأمر بالصلاة

قال ابن الحاج المنتقى: (فإذا كان الصبي في سن من يضرب على ترك الصلاة، واضطر إلى ضربه؛ ضربه ضرباً غير مبرح.

وحال الكتاتيب اليوم.

أ- أن يصلي الطلاب الصغار في المسجد في آخر الصف، ويجعل الكبار منهم يتقدمون يصلون مع عموم الناس.

ب- أن يترك الطلاب الصغار في الكتاب يكون معهم عريف ويستمعون للصلاة من خلال سماعات المسجد.

وهذا الأمر كان موجوداً في زمن الصحابة -أي ابتناء دار لتعليم القرآن- فهذه دار القراء بالمدينة المنورة، كانت قائمة بعد عزوة بدر، واسمها يدل على الاهتمام بقراءة القرآن الكريم(59)، وقال ابن مسعود ~:" وإن زيداً له ذؤابتان في الكُتّاب"(60)، وانطلق عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر عندما أرسلهما عمر بن الخطاب إلى الكوفة للتَّعليم، فابتنيا داراً إلى جانب المسجد(61).

وأخيرا لو بذل الأم والأب والمعلم كل ما يستطيعونه من الأساليب المشروعة في التأديب ثم لم يفد ذلك فتذكر قول مالك حينما رأى ابنه وفي يده حمام فقال: «الأدب أدب الله، لا أدب الآباء والأمّهات، والخير خير الله، لا خير الآباء والأمّهات»62، فالأمر لله من قبل ومن بعد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

1- تربية الطفل وتنشئته تبدأ من حين خروجه إلى الدنيا.

2- تميز تربية الإمام مالك للطفل في جميع جوانبه التربية.

3- تقوم تربية الإمام مالك على اليسر والسهولة والرأفة والشدة في موضعها، وعدم تحميل الطفل المسؤوليات العامة.

4- الضرب لا يكون إلا مع الرحمة والشفة ويكون من أجل التأديب.

5- النُّصح والتوجيه من أظهر سمات التربية عند الإمام مالك.

التوصيات:

1- دراسة التراث الفقهي، والتعرف على أساليب الفقهاء في التربية؛ خصوصاً ما يتعلم بالأئمة الأربعة: مالك، والشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة.

2- عقد ورش عمل للمربين وتفعيل دورهم في هذا المجال.

3- إنشاء مراكز متخصصة تهتم بالتربية، وتوظيف التربية في الكليات العلمية.

40 صحيح البخاري 6927.

41 التمحيط الإصلاح ومنه قولهم: مَخَّطَتُ الوَتَرَ وهو أن يمر الأصابع لتصلحه. ينظر: تهذيب اللغة 233/4.

42 الرسالة المفصلة لأحوال وأحكام المعلمين والمتعلمين ص281.

43 شعب الإيمان345/3.

44 البيان والتحصيل (18/ 152).

45 البيان والتحصيل 8/ 452.

46 جامع جوامع الاختصار ص589.

47 المدخل لابن الحاج 328/2.

48 التاريخ الكبير 354/3، تاريخ دمشق 237/19

49 المعرفة والتاريخ 1/ 646

50 مناقب الشافعي للبيهقي 1/ 101

51 ذم الهوى ص110.

52 الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي 1/ 447.

53 الموطأ، 320/2.

54 الموطأ 1374/5.

55 شرح معتقد أهل السنة والجماعة 1313/7.

56 المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص 242.

57 المناهج المعاصرة ص15. المناهج المعاصرة، د الدمرداش عبد الحميد سرحان. الكويت: مكتبة الفلاح، ط: 1401.

58 التربية بالقرآن الكريم، المفهوم، والأسس والضوابط، 158/1. محمد مصطفى أحمد شعيب، بحوث ملتقى التربية بالقرآن الكريم، عام:1436هـ/2015م، ط: جامعة أم القرى.

59 أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة ص: 267.

60 الطبراني، المعجم الكبير، رقم (8435) 74/9 .

61 ابن سعد، الطبقات الكبرى 136/8.

62 المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص 242.

1 صحيح مسلم، 1631 (73/5).

2 الموطأ، مالك، 304/2.

3 سنن الترمذي 2516 (248/4).

4 سير أعلام النبلاء، 48/8.

5 مقاييس اللغة 381/2، ولسان العرب 400/1، ومفردات القرآن ص336.

6 المفردات في غريب القرآن ص366، أصول التربية الإسلامية ص19، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها ص 20. مقداد يالجن.

7 صحيح البخاري 5188 (26/7).

8 تحفة المولود، ص5.

9 الحاكم، المستدرك 7587 (264/4).

10 البيان والتحصيل، 386/3.

11 البيان والتحصيل، 386/3.

12 البيان والتحصيل، 367/17.

13 البيان والتحصيل، 59/18، 235.

14 صحيح مسلم 2137.

15 صحيح مسلم 2138

16 البيان والتحصيل، 60/18، 236.

17 الانْغار: سقوط سنّ الصّبي ونباتها، والمراد به هاهنا السّقوط. يقال إذا سقطت رواضع الصّبي قيل: ثغر فهو مثغور، فإذا نبتت بعد السّقوط قيل: اثّغر، واتّغر بالثّاء والتّاء تقديره ائتغر، وهو افتعل، من الثّغر وهو ما تقدّم من الأسنان. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 1/ 213.

18 البيان والتحصيل 493/1.

19 البيان والتحصيل 494/1.

20 سنن أبي داود 495.

21 آداب المعلمين ص88.

22 المدونة 195/1.

23 آداب المعلمين ص126.

24 المدونة 195/1.

25 آداب المعلمين ص118.

26 آداب المعلمين ص118.

27 المدونة 195/1.

28 آداب المعلمين ص119.

29 آداب المعلمين ص124.

30 الرسالة المفصلة لأحوال وأحكام المعلمين والمتعلمين ص347.

31 الرسالة المفصلة لأحوال وأحكام المعلمين والمتعلمين ص347.

32 ترتيب المدارك وتقريب المسالك 1/ 130.

33 مدارج السالكين، 368/2.

34 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 6/ 330.

35 ترتيب المدارك وتقريب المسالك 1/ 127.

36 التراتيب الإدارية 2/ 198.

37 تاريخ ابن خلدون 1/ 740.

38 البيان والتحصيل (18/ 287).

39 البيان والتحصيل (18/ 287).

قائمة المصادروالمراجع

المسند الصحيح المختصربنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي). (ط) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الموطأ، أبو عبد الله، مالك بن أنس الأصبحي، (تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي). (ط1) أبو ظبي – الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية. 1425 هـ - 2004 م.

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. (تحقيق: صفوان عدنان الداودي). (ط1) دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية. 1412 هـ

أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي. (ط25) دار الفكر. 1428هـ-2007م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري. (ط1) دار طوق النجاة. 1422هـ

تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم، محمد بن أبي بكر شمس الدين

المعرفة والتاريخ، الفارسي، يعقوب بن سفيان بن جوان. (تحقيق: أكرم ضياء العمري). (ط2) بيروت: مؤسسة الرسالة. 1401 هـ- 1981 م.

مناقب الشافعي، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. (تحقيق: السيد أحمد صقر). (ط1) القاهرة: مكتبة دار التراث. 1390 هـ - 1970 م.

ذم الهوى، أبو الفرج، جمال الدين بن الجوزي. (تحقيق: مصطفى عبد الواحد) مراجعة: محمد الغزالي.

الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله القزويني. (تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس). (ط) الرياض: مكتبة الرشد.

جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد. (تحقيق: أبي الأشبال الزهيري). (ط1) السعودية: دار ابن الجوزي. 1414 هـ - 1994 م.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس. (تحقيق: عبد السلام محمد هارون). (ط) دار الفكر. 1399هـ-1979م.

المنتقى شرح الموطأ، الباجي، أبو الوليد الباجي. (ط1) السعادة -بجوار محافظة مصر. 1332 هـ

سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي). (ط9) بيروت: مؤسسة الرسالة. 1413هـ

المدونة، سحنون، عبد السلام بن سعيد التنوخي. (ط1) دار الكتب العلمية. 1415هـ

ترتيب المدارك وتقريب المسالك، اليحصبي، القاضي عياض بن موسى اليحصبي. (ط1) المغرب: مطبعة فضالة المحمدية.

التربية بالقرآن الكريم. المفهوم والأسس والضوابط، محمد مصطفى أحمد شعيب. بحوث ملتقى التربية بالقرآن الكريم. (ط) السعودية: جامعة أم القرى. 1436هـ/2015م.

آداب المعلمين، سحنون، محمد بن عبد السلام. (تحقيق: عادل آل حمدان، ضمن مجموعة: الجامع في كتب آداب المعلمين). (ط3) دار اللؤلؤة. 1444هـ-2022م.

أهداف التربية الإسلامية وغايتها، يالجن، مقداد يالجن. (ط2) الرياض: دار الهدى. 1409هـ، 1989م.

الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين، والمتعلمين، القابسي، علي بن محمد القيرواني. (تحقيق: عادل آل حمدان، ضمن مجموعة: الجامع في كتب آداب المعلمين. (ط3) دار اللؤلؤة. 1444هـ- 2022م.

التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، الكتاني، محمد عبد الحي الإدريسي. (تحقيق: عبد الله الخالدي). (ط2) بيروت: دار الأرقم.

الجوزية. (تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط) (ط1) دمشق: مكتبة دار البيان. 1391 – 1971م.

البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، أبو الوليد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي. (تحقيق: د محمد حجي وآخرون). (ط2) بيروت – لبنان: دار الغرب الإسلامي. 1408 هـ - 1988 م.

النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات. (تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي) (ط) بيروت: المكتبة العلمية. 1399هـ - 1979م.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر شمس الدين الجوزية، (تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي). (ط3) بيروت: دار الكتاب العربي. 1416 هـ - 1996م.

النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ابن أبي زيد، عبد الله عبد الرحمن النفزي. (تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو وغيره) (ط1) بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1999م.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن مهران. (ط) السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي. (تحقيق: خليل شحادة). (ط2) بيروت: دار الفكر. 1408 هـ - 1988 م.

أبو منصور، محمد بن أحمد الهروي. تهذيب اللغة. (تحقيق: محمد عوض مرعب). (ط1) بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م.

المدخل، ابن الحاج، محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي. (ط) دار التراث.

المناهج المعاصرة. د الدمرداش عبد الحميد سرحان. (ط) الكويت: مكتبة الفلاح. 1401.

التاريخ الكبير، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري. (ط) حيدر آباد – الدكن: دائرة المعارف العثمانية.

تاريخ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. (تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي). (ط) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1415 هـ - 1995 م.

شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين الخسروجردي. (ط) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، هبة الله بن الحسن الرازي. (تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي) (ط8) السعودية: دار طيبة. 1423هـ - 2003م.

المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، أبو محمد، الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي. (تحقيق: محمد عجاج الخطيب). (ط3) بيروت: دار الفكر . 140هـ